٢٠ ـ باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

أ- في الصحيح ، عن عائشة : «**أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»(٩٨) فهؤلاء جمعوا بين

هذا باب عظيم كالذي قبله ما جاء من الأدلة في التغليظ فإن كانت الأدلة جاءت بإنكار عبادة الله عند قبور الصالحين فكيف إذا عبده واتخذه إلها من دون الله؟! فالتغليظ يكون أشد لأن الأول وسيلة والثاني شرك أكبر .

أ- وفي الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور لرسول الله ﷺ فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ...**» .

رأت كنيسة : لما هاجروا إلى الحبشة رأوا كنيسة معظمة ولها شأن يقال لها مارية فيها صور وتحسينات .

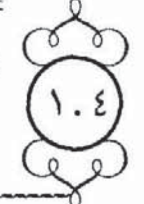
أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح هذا بيان حال النصارى وغلوهم في أمواتهم .

صوروا فيها الصور : أي صور الرجل الصالح أو له ولأتباعه كما جرى لقوم نوح .

أولئك شرار الخلق : أي الذين فعلوا هذا الفعل لأنهم فعلوا أسباب الشرك

---

(٩٨) **صحيح.**
رواه البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨) .



الفتنتين، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل.

ب - ولهما عنها قالت : «**لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**» (٩٩) أخرجاه.

والغالب أنهم يفعلون ذلك لأنهم يعتقدون الشرك . فتعظيمهم القبور والبناية عليها لتعبد ويستغاث بها فصاروا بهذا شرار الخلق .

فمن فعل هذا الفعل فقد تشبه بالنصارى وعمل عملهم ومن تشبه بقوم فهو منهم والمقصود من الكلام التحذير من فعلهم . وقد وقع في الأمة ذلك ، وأعظم من فعله هم الرافضة الذين غلوا في آل البيت وهم أول من بني على القبور وبنوا عليها المساجد وعبدوها من دون الله ثم قلدهم أناس من أهل السنة من كثير من بلاد المسلمين وقد وقع اتباعها للكفار حذو مسافة القذة بالقذة .

قوله : **فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين** : فعظموا القبور ، وصوروا الصور وكذا من شابههم من هذه الأمة شابهوا النصارى وشابهوا قوم نوح .

ب - ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه . .

طفق : جعل.

خميصة : كساء .

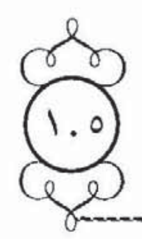
وهذا من سكرات الموت لسيد الخلق ليرفع به الدرجات وليكون أسوة لأمته.

لعن الله اليهود والنصارى : قالها في مثل هذه الحالة العصيبة ليحذر أمته من فعل ذلك .

---

(٩٩) **صحيح.**

رواه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١) .



ج- ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال : «**سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك**»(١٠٠) .

ولولا ذلك لأبرز قبره : أي في البقيع مع أصحابه .

غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا : لئلا يأتي أناس بعد الصحابة ويبنون عليها مسجدا ، أما الصحابة فلا يفعلونه . وهذا الآن يقع من بعض الجهلة الذين يزورون المسجد يدعون النبي ﷺ لكن من وراء الجدار وهو شرك أكبر .

وهذا يدل على غيرة الصحابة وحرصهم على الأمة فلذلك نقلوا هذه الأحاديث للأمة .

ج- ولمسلم عن جندب مرفوعا : «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» .

الخلة : أعلى من المحبة وفيه فضل الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الصحابة بالإجماع .

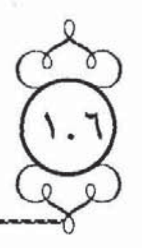
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا : فلم يتخذه لئلا تزاحم محبته محبة الله عز وجل .

كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد : وفي مسلم (أنبيائهم وصالحيهم مساجد) وسقطت اللفظة لأنه نقلها من كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) وقد

---

(١٠٠) **صحيح.**

رواه مسلم (٥٣٢) وذكر الحديث وفيه ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك .



فقد نهى عنه آخر حياته ، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك ، وإن لم يبن مسجد ، وهو معنى قوله «**خشي أن يتخذ مسجدًا**» ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا ، كما قال ﷺ : «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[101] .

- ولأحمد بسند جيد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا : «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور**

سقطت من هناك .

ومنع من هذا بثلاث طرق :

١- ذم ما فعلوه .

٢- قوله : لا تتخذوا .

٣- قوله : فإني أنهاكم عن ذلك .

وهذا مبالغة منه في النهي عن ذلك . لأنه وسيلة إلى الشرك كما حصل الآن .

خشي أن يتخذ مسجدا : لأن الصلاة عند القبور اتخاذ لها مساجد فكل موضع يصلي فيه فهو مسجد كما في الحديث «**وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**» فإذا صلى عند القبر فقد اتخذ مسجدا وإن لم يبن فكيف إذا بني وهذا من وسائل الشرك .

- وقد ورد عن ابن مسعود مرفوعا «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**» .

---

(١٠١) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٣٥) مسلم (٥٢١) من حديث جابر .



مساجد»[١٠٢] ورواه أبو حاتم في صحيحه .



لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق أما المؤمنون فتقبض أرواحهم قبل ذلك بالريح الطيبة .

والذين يتخذون القبور مساجد : أيضا من شرار الناس لأنهم يتسببون في وقوع الناس في الشرك والبدع والباطل لأن الناس إذا رأوا هذا قالوا ما دام أنه قد بني على هذا القبر فهذا القبر يدعى به ويستغاث به .

لا يضر قرب المسجد من المقبرة ،وإن فصل بينهم بطريق فهو أولى .

(١٠٢) **إسناده حسن.**

رواه أحمد (١/ ٤٠٥) وابن خزيمة في «الصحيح» (٧٨٩) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) والطبراني في «الكبير» (١٠٤١٣) وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٨٤٧) وأبو يعلي (٥٣١٦) والبزار (٣٤٢٠) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢) من طريق عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود به . وعاصم حسن الحديث . ورواه أحمد (١/ ٤٥٤) بزيادة . والبزار (٣٤٢) من طريق أبي داود عن قيس أخبرنا الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود به .

وفي الإسناد قيس بن الربيع وهو ضعيف .

وعلق البخاري في «صحيحه» الجزء الأول من الحديث (١٣/ ١٤ الفتح) .

